حال رجلٍ مثلي، عاجز في مكانه، آمن في سربه، معافى في بدنه، عنده أقوات يومه وغده وبعد غده.. كيف يكون حاله إنْ جاءه ثناءٌ من رجلٍ تُرفرف روحه فوق رأسه، يخوض أشرف معارك الأمة؟!!.. وقد كنتُ حينها أمرُّ بكَربٍ شديدٍ، فأطمعني هذا الكرم الحاتمي السيَّال، فأرسلتُ إليه أطلب دعاءه ودعاء من في الثغور، لينفكَّ هذا الكَرب، فما أقرب أن يستجيب الله لهؤلاء.. فكان كما هو أهله: أجابني برسالةٍ صوتية، وبدعائه الشجي الندي، وقد شاء الله بفضله وكرمه وانحلَّ الكَربُ بأمرٍ يشبه المعجزة.. فما أحسبُ إلَّا أنَّ هذا كان من كراماته!!.

ومضتْ الأيام، وبعد شهورٍ إذا به يرسل إليّ يطلب مني أن أكتب مقدمةً لكتابه «تحت راية الطوفان»، بعد أن أضاف إليه شيئا من أخبار تجدد القتال بعد انهيار الهدنة في مارس الماضي.. ومن ذا يتخلى عن مثل هذا الشرف؟!.

ثم ما هي إلا أربعة أيامٍ بعدها حتى جاءني نبأ استشهاده.. فلما عرفتُ اسمه ورأيت صورته وسمعت مقاطع نشرت له، عرفتُ بعين اليقين ما كنتُ شعرتُ به حين قرأتُ الكتاب بعلم اليقين.. ذلك سمتُ شهيد!، طال الوقت أم قصر!!.

إنَّ في الكتاب روحاً من صاحبه، وفي الكتاب ترى رجلاً ناهلاً من القرآن، متعلقاً به، يحسن الاستشهاد منه على المعنى الذي يريده، حركياً عملياً، متعاملاً مع نفوس الناس وما يصدر عنها حين الشدة من أوجه ضعفٍ أو خوفٍ أو تردد، فقيهاً يتكلم في عبادات المجاهد: كيف يصلي وكيف يتطهر، بل كيف يُعيد بناء المسجد الذي تهدَّم في المنطقة التي أُبيدت، لكي يُثبِّتَ قلوب الناس، ويُعيدَ بثَّ الحقِّ والخير فيهم.

فإذا سمعتَ صوته ورأيت صورته -كما في المقاطع التي نُشرت له- رأيت شاباً قد أقام القرآن فصاحة لسانه، وللقرآن أثرٌ في لسان قارئه المُدمن له، يُعرف من مواضع ترقيقه وتفخيمه